مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (41) العدد (1)2019
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (41) No. (1) 2019

# "التكثيف الزمني"
# على مستوى السرد والشخصية والحدث
# "دراسة لمختارات روائية من تجربة إبراهيم نصر الله"

**الدكتور حسّان الشّامي** *
**لاريسّا أحمد** **

**(تاريخ الإيداع 21 / 11 / 2018. قبل للنشر في 27 / 1 / 2019)**

## □ ملخّص □

يتناول هذا البحث دراسة التكثيف الزمني، وآليات توظيف الزمن النفسي في بعض روايات الكاتب إبراهيم نصر الله؛ بغية الوقوف على أشكاله، وأبعاده الفنية والدلالية على المستويين النصي – التخييلي والواقعي ، وإبراز أهميته في بناء الشخصية الروائية، وتكثيف الحدث.

أدّى التطوّر الروائي إلى تعدد الحبكات، وإلى التعمّق في وعي الشخصية، وهذا ما استوجب تحييد الزمن القصصي، وتكثيف الزمن النفسي، عبر تيار اللاشعور، فتأثر الزمن السردي بقلق الشخصية واضطرابها، وغدت الحبكة مضطربة أيضاً، يصعب تحديدها، وبدا السرد متوالياً غير محدّد الهدف.

وقد اهتمّ بعض الروائيين برصد أعماق الشخصية، وكشف عقدها النفسية وتقلباتها، من خلال تكثيف الزمن في وعيها، وتعميق شعورها المتدفق باللحظة المعيشة، فسادَ الزمن النفسي في كثير من الروايات التي تعالج الأوضاع الاجتماعية والسياسية، وأزمة المثقف، وغيرها...؛ فبرز الزمن النفسي في مونولوجات الشخصيّات وتداعياتها، واضحاً عميقاً، متنامياً مع لحظة الحدث.

يُعدّ الكاتب "إبراهيم نصر الله " من الروائيين الذين اهتموا بقضايا الواقع، ورصد أعماق النفوس المثقلة بالهموم، في محاولة لتقصي أبعاد الواقع، واستشراف أفق المستقبل.

**الكلمات المفتاحية :** التكثيف الزمني، السرد، الشخصية، الحدث، تيار اللا شعور، الوعي، الزمن النفسي .

* **أستاذ مساعد – قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية .**
** **طالبة دكتوراه – قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية .**

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (41) العدد (1)2019
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (41) No. (1) 2019

# "Temporal Intensification" At the narrative, character and event level

## "A Study of selected Novels from the Experience of Ibrahim Nasrallah"

**Dr. Hassan Ashami***
**Larissa Ahmad ****

**(Received 21 / 11 / 2018. Accepted 27 / 1 / 2019)**

## □ ABSTRACT □

This research deals with the study of the temporal intensification and the mechanisms of employing psychological time in some of the novels of the writer Ibrahim Nasrallah, in order to identify its forms and its artistic and semantic dimensions at the scriptural - imaginary and factual/real levels,
and to highlight its importance in shaping the narrative character and intensifying the event.

The novel development has led to multiple plots and to the deepening in character consciousness, which necessitated neutralizing the story time and intensifying psychological time through the stream of unconsciousness. The narrative time was affected by the character's concern and confusion, and the plot also became confused, difficult to identify and the narrative appeared to be successive of unspecified target.

Some novelists have become interested in monitoring the depths of the character and detecting its psychological complexities and changeability through intensification of time in its consciousness and deepening the overwhelming feeling of the lived moment. Hence, the psychological time prevailed in many novels that address the social and political situations and the crisis of the intellectual and others ...,

Psychological time has emerged in the monologues of characters and their implications, deep, evident, growing with the moment of the event.

The writer Ibrahim Nasrallah is one of the novelists who took care of the issues of reality, and monitored the depths of the souls burdened with worries, in an attempt to explore the dimensions of reality and the prospect of the horizon of the future.

**Keywords**: time intensification, narration, character, event, stream of subconscious, consciousness, psychological time.

* **Associate Professor - Department of Arabic Language - Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia - Syria.**
** **Postgraduate student - Department of Arabic Language - Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia - Syria.**

## مقدمة:

الزمن النفسي أو ما يسمّى أحياناً بـ / الزمن الداخلي أو الذاتي أو الشخصي/ هو إحساس الشخصيّة بمرور الزمن، ( ويتجلّى في تداعيات الشخصية وذكرياتها، ومونولوجاتها الداخلية، وتيّارات وعيها، وربما برز في أحاديثها المباشرة أحياناً. وليس لهذا الزمن مقاييس ثابتة، أو محددة منطقياً، ولكن يمكن للكاتب أن يتبيّن طبيعته من خلال اللغة التي تجسد العالم الداخلي للشخصية )[1]. وبذلك يصبح الزمن مرتبطاً بالذات، ويدرك من خلال درجة شعورها به. فـ (كل شعور هو لحظة جريان)[2]. والزمن النفسي ليس إلا نتيجة لازدياد وتيرة الإحساس بالحدث في لحظة زمنية خارجة عن المقاييس الآلية. ومن خلاله يتم تصوير تأثر النفس البشرية بالزمن، وتفاعلها معه، عبر وعيها ومجرى شعورها، فيصبح ( الزمن منسوجاً من خيوط الحياة النفسية بعد أن فقد معناه الموضعي، ويرتبط هذا بسرعة النص وبطئه، فكلما ركّز الكاتب على الشخصية وذاتها، تقلّص الزمن الخارجي، وصغرت وحداته، وكلما خرج خارج الشخصية، اتّسعت الرقعة الزمنية )[3]، أي يذوب الزمن الخارجي، ويكاد ينعدم. بينما يتسع الزمن النفسي حتى يشمل العالم النفسي للشخصية. فـ (للزمن عدة أبعاد، وللزمن كثافة)[4]، تظهر عبر الوصف الزمني للحياة النفسية للشخصية، وتكثيف لحظة الانفعال بالحدث المتنامي، (فكل لحظة هي مركز، ومكان التقاء عدد لا حصر له من الإحساسات التي لم يُفصح عنها بعد)[5].

سيطر الزمن النفسي بشكل كبير في أعمال الكاتب إبراهيم نصر الله* التي تعرض حياة الإنسان في ظل واقع سياسي واجتماعي واقتصادي مهشم ومتردٍ، فمن معاناة الإنسان الفلسطيني في المنافي، إلى محاولة تصفيته وتغييبه فوق أرضه، ومن خوف الإنسان البسيط في ظل الأنظمة القمعية، إلى انتهاك العرض والقتل بذريعة الثأر للشرف، وغيرها من الظروف والوقائع التي تدفع الإنسان إلى الهلاك أو الجنون أو الانتحار، نتيجة الإحباط واليأس والصراع الذي تعيشه.

وفيما يلي سيقف البحث على واقع الشخصيات الروائية في بعض أعماله الروائية، وإحساسها بوطأة الزمن، وتأثيره فيها، و الطريقة التي جسّد الكاتب من خلالها الزمن النفسي، والأدوات التي لجأ إليها.

## أهمية البحث وأهدافه:

**[1] الشامي، د. حسان: المرأة في الرواية الفلسطينية /1965– 1985/ دراسة، اتحاد الكتاب العرب، 1998، ص 249/248.**

**[2] ريكور، بول: الزمان والسرد– الزمان المروي / ج3، ترجمة سعيد الغانمي، راجعه عن الفرنسية د. جورج زيناتي، دار الكتاب الجديدة المتحدة/ط1/ يناير 2006.، ص60.**

**[3] العيد، يمنى: الراوي/ الموقع والشكل/ بحث في السرد الروائي، مؤسسة الأبحاث العربية ش.م.م/ بيروت، ط1/ 1986، ص45.**

**[4] باشلار، غاستون: جدلية الزمن، ترجمة خليل أبو أحمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع / ط3/ 1992، ص111.**

**[5] شاهين، سمير الحاج: لحظة الأبدية، دراسة الزمان في أدب القرن العشرين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1/ 1980، ص166.**

*** إبراهيم نصر الله روائي وشاعر من مواليد عمّان عام 1954م، من أبوين فلسطينيين هجّرا من أرضهما في قرية البريج في فلسطين، ترجمت أعماله إلى لغات مختلفة، ونال جوائز عديدة عن أعماله الشعرية والروائية.**

يسعى البحث إلى دراسة الزمن النفسي، وأسلوب توظيفه في بعض الأعمال الروائية للكاتب إبراهيم نصرالله، من خلال دراسة تأثيره في الشخصيات الروائية، والعمل الروائي ككل، وإظهار علاقته بالواقع السياسي والاجتماعي الذي يؤطر الروايات المدروسة.

## منهجية البحث :

اعتمد البحث المنهج البنيوي التكويني؛ لأنه يُعنى بتحليل النص السردي، بوصفه نصّاً متعدد المستويات الدلالية. إذ يربط بين النسق الداخلي للنص، والأنساق الخارجية التي تشكل ثقافة الكاتب ووعيه. فيعدّ النص الأدبي بنية مناظرة لبنية خارجية، هي البنية الفكرية والثقافية للشريحة الاجتماعية التي أفرزت العمل الأدبي. كما أفاد البحث من معطيات كل من المنهجين الاجتماعي والنفسي في تحليل الشخصيات الروائية، وسبر أعماقها النفسية، وتحديد أبعاد ذلك.

### – تجسيد الزمن النفسي على مستوى الشخصية:

يرتبط الزمن بعناصر الرواية كافة، وبخاصة الشخصيات، التي (تشغل حيزاً فسيحاً جداً في الزمن، حيزاً مفرط الامتداد، بالقياس إلى الحيز المحدود جداً الذي يفرد لهم في الفضاء)[6].

ويختلف الزمن النفسي من شخصية لأخرى، لأنه لا يستمد امتداده من طبيعة الشخصيات وظروفها، ولا من الزمن الطبيعي العام، لذلك يقاس بمدى إحساس الشخصية باللحظة، وتأثرها بما حولها، فيطول الوقت في لحظات التأمل ويتمدد، ويقصر ويتسارع مع ضجة الحياة، وحركة العمل المتواصلة، بينما يتوقف مع لحظات الحب والسعادة.

فتجربة "سلوى" في رواية "زيتون الشوارع" مع الزمن متناقضة، وفي غاية التنافر، فهي حيناً تجربة مليئة بالحب والسعادة، تجعلها تبتسم حين تتأمل تلك الفترة التي عرفت فيها حبيبها "أيمن" .. فتضيف الذاكرة سحراً خاصاً على الصور التي تستعيدها بجمال... ف (كم تتورد حينما تستعيد ذكرى جميلة)[7]:

" تقدّم.. وهبط قلبي دفعة واحدة، تقدّم.. كانت المسافة الضيقة زمناً كاملاً، وبأطراف أصابعه بدأ ينقرُ الباب، فأتاني ذلك الصوت رقيقاً ناعماً، مثل وقع حوافر خيل قادمة من آخر الدنيا"[8].

تكثيف لحظة الحب، أخرج "سلوى" من الإحساس الطبيعي، فبدت المسافة القصيرة التي تفصلها عن حبيبها "أيمن" زمناً كاملاً؛ فالحب يحرق المسافات الزمنية، فيتجاوز به الإنسان العالم الواقعي، إلى عالم الوهم المتحرر من قيود الزمان، تصوغه مخيلته الواسعة اللامحدودة.

وهي في أحيان كثيرة ناقمة على الزمن؛ بسبب تجربتها المريرة التي تجلت بصراع دائم؛ بغية حصولها على كرامتها، ومحاولتها فهم وتحديد منطق للحياة، ومحاولتها المستمرة؛ لجعل الآخرين يرون الحقيقة الباهتة التي لم تعد تشكّل شيئاً للمستغلين والشاذين :" إنه يغتصبني .... لم لا يسمعونني.. إنني أصرخ"[9].

---

**[6] جينيت، جيرار: خطاب الحكاية /بحث في المنهج/ ترجمة: محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر حلى. المشروع القومي للترجمة، ط2/ 1997. ص 264.**

**[7] نصر الله، إبراهيم: رواية زيتون الشوارع، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط5، 2013م، ص61.**

**[8] الرواية السابقة، ص33.**

**[9] الرواية السابقة، ص101.**

يشكّل الصّراع المستمر بين ماضٍ متناقض فيه الألم والفرح، البغض والحب ... وبين حاضر أسود مشوّه، لا مكان فيه للحقيقة، ولا حتى لذاتها.. العجلة الرئيسة التي راحت تدفع الأحداث، وتغذي السرد، عبر انتقال مضنٍ للشخصيات، بين ماضٍ مشكوك فيه، وحاضرٍ متآكل ميئوس منه..

" أقول لك هذا. أنا سلوى التي هربتْ كثيراً، وصمتتْ أكثر...

كان الكابوس زمني، ولم أعد أتصور العالم خارج فصل الخريف."[10].

ويعمّق هذيان الشخصية عتمة عالمها الداخلي، ويجنح السرد خارج مجرى الزمن الطبيعي، ويغوص في مجرى الشعور عميقاً، حيث يتحول الزمن والليالي القاسية إلى كابوس، يثقل بوطأته كاهل الشخصية، ويسلبها أمنها وراحتها، ويدفعها للانتحار؛ وتجد في موتها خلاصاً من زمن الحياة القاسية أو من واقع فاسد. ففي الروايات التي تضمنت عرضاً للواقع السياسي والاجتماعي للفلسطينيين المهجرين، أو للشعوب الخاضعة تحت سطوة أنظمتها القمعية، يمارس الزمن النفسي ثقله على الشخصيات، ويفرض سلطته عليها فيغير طبيعتها، ويدفعها إلى الهذيان أو الانتحار أو الجنون.

ولم يكن "بهجت" أوفر حظاً، فالزمن لم يقف إلى جانبه، ولو لمرة واحدة، كما لو أن الله "لم يمنحه سوى ما يمنح السلاحف التي لن تستطيع في أي يوم أن تطير!"[11]، فينمو الزمن النفسي مع مرور الأيام والسنوات بطيئة عليه، وهو يتأمل واقعه المؤلم:

" أمام باب الصحيفة، وقف بهجت يتأمّل المبنى، وهو يفكّر في السنوات التي أمضاها فيه، والتغيرات التي طرأت عليه، في الداخل والخارج، حتى في عدد صفحات الجريدة الذي أصبح يتجاوز أحياناً المئة صفحة. تذكّر اليوم الأول الذي قابل فيه السيد عبد اللطيف، وحيّره أن كل الأحوال تغيّرت إلا حاله. فقد بدأ حياته مندوباً، وأمضاها مندوباً، وسيموت، إذا لم يطلع نجم سعده، مندوباً."[12].

في رواية "شرفة رجل الثلج" تنعدم جدلية الحياة، فكل مجهود لا يقابله شيء، والأفضلية لمن يخدم ويكون تابعاً، وليس لمن يعمل ويبدع. فتغدو السنوات بطيئة، والمستقبل غامضاً مظلماً، مما يدفع "بهجت" في النهاية إلى التمرد على الزمن والواقع؛ للحاق بقدره، بعد أن يصبح شعاره "الغاية تبرر الوسيلة".

يركّز الراوي على عرض طفولة "بهجت" ومنبته الطيب؛ ليبرر سبب معاناته في مجتمع فاسد، مبرراً انحرافه واحتدام الصراع في داخله إلى حدّ الهلوسة والهذيان؛ فجذوره وانتماؤه لطبقة طيبة ترفض التملق والنفاق، جعله يعيش في دوامة وصراع ذاتي مرير، بين واقع يشدّه إلى الشرّ، وأصول تشدّه إلى الداخل، في محاولة للحفاظ عليها، لكن زمن الخوف والقمع هو المسيطر فيرضخ في النهاية، ويسعى لتنفيذ حكم الإعدام بالسجين؛ ليتصدر اسمه الصفحة الأولى في الصحيفة.

---

[10] **الرواية السابقة، ص132.**

[11] **نصر الله، إبراهيم: رواية شرفة رجل الثلج، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط3، 2014م، ص97.**

[12] **الرواية السابقة، ص97.**

ينمو الزمن النفسي في الرواية مع ازدياد العنف، وانحدار الوضع الاجتماعي فـ (آلية القمع – بكل تجلياتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية – تكاد تشكّل النسيج الدرامي في البناء الروائي للرواية العربية عبر أزمة الحرية والقيم)[13].

أمّا في رواية "أعراس آمنة" فتبدو تجربة الشخصيات ساخنة ومريرة مع زمن الاحتلال الذي نشر الموت في كل مكان من قطاع "غزة". تقول "آمنة": "لم أعد أحبّ المبالغة، فالزمان بالغ معي بما يكفي ويزيد."[14]. وتشكو من شدة العذاب الذي يقاسيه الشعب المحاصر: "ما الذي فعلناه على هذه الأرض كي نستحق كل هذا العذاب؟"[15]. تغدو حياة الشخصيات صراعاً مع الموت الذي يختطف كل شيء جميل بشكلٍ مباغت، فباتت تعاني مرارة الفقد والفراق: "كل يوم، كل ساعة، كل لحظة أنتظر أن يدقّ أحدهم الباب ويأتيني بالخبر الذي لا أريد سماعه"[16]. تعيش "آمنة" هاجس أن تفقد أحباءها في كل لحظة، هذا الخوف والترقب الحذر غيّر النفوس كثيراً: "مع أنّ ما مرّ من سنوات ليس كثيراً، ولم نعد نحن، لم نعد نحن تماماً، كلنا نشبه أنفسنا كثيراً، لكننا لا نشبهها تماماً، فهناك أشياء كثيرة تتمنى أن تخرج وتحتلّ ملامحنا التي لا تشبهنا وخوفنا الذي لا يشبهنا، وأحزاننا التي لا تشبهنا، وأفراحنا التي لا تشبهنا"[17]. ويبسط زمن الاحتلال قسوته على النفوس التي باتت ترى الزمن ناراً متأججة، ويغدو (الزمن هو الغرابة نفسها، الاتساع الذي يبتلع كل شيء)[18]، بينما يسعى الجميع نحو لحظة الفرج، اللحظة التي يتباطأ فيها الموت عن التقدم بزوال الاحتلال.

في رواية "تحت شمس الضحى" تؤطر حملات المداهمة والاعتقالات، وعمليات القنص المستمرة بحق الفلسطينيين، الرواية بزمنٍ نفسي مشوبٍ بالحذر والترقب، وتبدو التجربة القاسية لـ"ياسين الأسمر" في اعتقاله مرتين، وتعذيبه جسدياً ونفسياً، ثم نفيه خارج الوطن لخمسة وعشرين عاماً، يكتسح الزمن أحلامه دون أن يمهله لإنهاء ما بدأ به:

"لم يكن ياسين قد تجاوز الحادية والثلاثين، كان الشيء الوحيد الذي يحاول وقفه هو الزمن.

- أن يقف قليلاً، ليتيح لي أن أفعل شيئاً أحبه. لم يمهلني لأن أنهي أي شيء بدأته "[19].

وتبدو العودة لـ "ياسين" من المنفى منقوصة غير مستقرة، بعد اتفاقيات اوسلو. سبع وخمسون عاماً من عمره عاشها في داخله، وها هو قد وصل إلى نقطة غامضة من العمر، لا شيء خلفه ولا شيء أمامه: "في الخمسين كان، معلّقاً بين عهدين، في تلك النقطة الغامضة التي لا تشير إلى شباب أو شيخوخة، براً مفتوحاً على نفسه، لا شيء وراءه، ولا شيء أمامه، براً كل كينونته فيه، كما لو أنه مقطوع عن كل شيء، مكتف بانعدام وزنه، بين شباب انقضى، وشيخوخة بلا ضفاف."[20].

---

**[13] رضوان، محمد: محنة الذات بين السلطة والقبيلة– دراسة لأشكال القمع وتجلياته في الرواية العربية– اتحاد الكتاب العرب/ دمشق، 2002، ص32.**

**[14] نصر الله، إبراهيم: رواية أعراس آمنة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط8، 2015م، ص12.**

**[15] الرواية السابقة، ص102.**

**[16] نصر الله، إبراهيم: رواية أعراس آمنة، ص 98.**

**[17] الرواية السابقة، ص111.**

**[18] ريكور، بول: الزمان والسرد– التصوير في السرد القصصي/ ج2، تر فلاح رحيم، راجعه عن الفرنسية د. جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة /ط1/ كانون الثاني/ 2006، ص 301.**

**[19] نصر الله، إبراهيم: رواية تحت شمس الضحى، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط7، 2015م، ص72.**

**[20] الرواية السابقة، ص44/43.**

وبشكلٍ عام، فإنّ الزمن الثقيل خيّم على أغلب الشخصيات الروائية، لأنه زمن العنف والقمع والفساد، زمن الاحتلال الصهيوني، زمن الموت والاعتقال والتعذيب.. ولذلك نلحظ أن أغلب شخصيات إبراهيم نصر الله قد عانت من وطأة الزمن؛ بسبب واقع المعاناة والظروف الصعبة التي تعيشها.

وقد تمّ تجسيد الإحساس الزمني الخاص للشخصيات عبر تقنيات عدة اتبعها الكاتب، **كالتشكيل السردي** المؤطّر بزمن نفسي، أو **تكثيف لحظات** ذات دلالة عميقة في وعي الشخصية، ومضمون الرواية، كلحظة الحب والصمت والانتظار، والخوف والقلق .... وفيما يلي يقف البحث عند أسلوب الكاتب في تجسيد الزمن النفسي في بعض أعماله الروائية:

## 1- التشكيل السردي:

يرتبط التشكيل السردي بالمسار الزمني للرواية من ناحية، وبطبيعة الشخصيات من ناحية أخرى، حيث إنّ الشخصيات تمتد وتحيا في الزمن، تتفاعل مع ظروفها، وتتأثر بأزماتها، مكوّنة زمناً نفسياً تنغلق فيه على ذاتها.

وقد لجأ الكاتب إلى الإيحاء بالزمن النفسي من خلال التلاعب السردي، الذي عكس العالم الداخلي للشخصيات في حاضر مشؤوم، وخاصة حين يحتل الزمن دوراً رئيساً، ويطغى على باقي العناصر، ولا سيما على الشخصية.

ففي رواية "شرفة رجل الثلج" أصبح الزمن أكثر أهمية من حياة الشخصية نفسها، وذلك في حدث إعدام السجين، إذ اضطرّ مدير السجن لإيقاف تنفيذ حكم الإعدام بسبب العاصفة الثلجية التي حالت دون وصول الشيخ لحضور الحكم. وهنا تبدأ حساسية الزمن بالنسبة لـ "بهجت"، فالخبر قد نشر في عدد الغد من الجريدة، في الصفحة الأولى وفي أسفله خطّ اسم بهجت حبيب للمرة الاولى. ذلك الحلم الذي جهد سنوات لتحقيقه. وتأجيل حكم الإعدام يعني إلغاء الخبر. وهنا يبدأ سعي "بهجت" المحموم، للعثور على شيخ وسط العاصفة الثلجية قبل الساعة الرابعة /موعد تنفيذ الإعدام/. فلجأ الكاتب إلى **تقسيم الرواية تقسيماً زمنياً**، يوحي بتصاعد الحدث، والإيحاء بلحظات شديدة الحساسية، مشوبة بالقلق، فشكلت المقاطع السردية وحدات زمنية متتالية، تمثل فترة زمنية عصيبة تمر بها الشخصيات، تدل على حالتها واضطرابها النفسي، إذ عنونت بالتوقيت الزمني وبالدقائق ( 2:09 بعد الظهر- 2:59 بعد الظهر- 4:00 عصراً- 4:10 عصراً-5 مساءً... 4:40 صباحاً- 5:56 صباحاً)، دلالة على أهمية الوقت بالنسبة للشخصيات، إذ أصبح "الوقت أضيق من حبل المشنقة"[21]، وبات هو الحسم في مصائر الشخصيات.

يتسارع الزمن مع توالي الوحدات الزمنية التي تفقد قيمتها المعيارية، لتتحول إلى وحدات زمنية نفسية، تعمق إحساس الشخصية بالزمن، وتصف (الشعور بوقع اللحظة في نبض الشخصية، وتصبح وظيفة الساعة في هذه الحالة، إلغاء الزمن الموضوعي، ليتكثّف الزمن الذاتي أو النفسي)[22].

تبلغ الأحداث ذروتها لحظة إشارة عقارب الساعة إلى الرابعة صباحاً، لحظة إعدام السجين كما كان مقرراً، مشكلة لحظة تحمل من التناقض الكثير، نقطة التقاء وافتراق في ذات الوقت، لحظة / حياة وموت/:

"أي مفارقة هذه يا بهجت؟! كي يظهر اسمك على الصفحة الأولى، لا بدّ أن يختفي شخص من هذه الدنيا تماماً"[23].

ولذلك يكتسب الزمن على صعيد الواقع طابعاً تصاعدياً تعبيراً عن ارتفاع نجم "بهجت"، وعلى الصعيد الإنساني طابعاً

---

[21] **نصر الله، إبراهيم: رواية شرفة رجل الثلج، ص132.**

[22] **الفريج، هيفاء محمد: تقنيات الوصف في القصة القصيرة السعودية، 1420/1400هـ، النادي الأدبي بالرياض/ المركز الثقافي العربي، بيروت- الدار البيضاء، ط2009/1، ص366.**

[23] **نصر الله، إبراهيم: رواية شرفة رجل الثلج، ص112.**

تنازلياً تعبيراً عن فساد الزمن، بانعدام المثل والقيم والمبادئ، وعن التحول الخطير في شخصية "بهجت" الذي تحول في دقائق إلى وحش في سبيل غايته الذاتية:

" كما لو أنه أمام غرفة عمليّات، في داخلها زوجته تلد، أمضى، بهجت الوقت متأرجحاً كبندول ساعةٍ ثملٍ.

بعد ساعتين ناوله المحرر نسخة من الجريدة. تسمّر بصره فوق اسمه، الذي بدا واضحاً كعنوان، ودون أن يلاحظ، ارتسمت على شفتيه ابتسامة واسعة بحجم الصفحة كلها، بحجم الصفحات كلّها، بحجم الجريدة والعالم الخارجي الهادئ المطمئن المسالم الطيّب"[24].

يبدو الزمن سريعاً رغم ثقله على الشخصيات، لكن توتر "بهجت" ورغبته الجارفة بتحقيق حلمه بأن يتصدر الصفحة الاولى بخبر مهم، كان دافعاً لتحريك الأمور وفق غايته، فأسهم في تسريع السرد، ودفع الشخصيات نحو نهايتها المحتومة.

في رواية "شرفة الهذيان" جنّد الكاتب وسائل عديدة لإدراك إيقاع الوعي الخاص ونسيجه، كإدراج الصور والرسومات والخواطر والأغاني والحوارات، إضافة إلى إفادة الكاتب من الأساليب المسرحية والسينمائية في التصوير وتجسيد المشاهد، فضلاً عن المساحات النصية التي وظفها الكاتب خلال السرد، وبين الحوارات، لإضفاء بعد نفسي خاص بوعي الشخصية، والتعبير عن ضياعها وغربتها، فجاء الإيقاع الزمني محمّلاً بالتوترات والاحتمالات، قائماً على التكثيفات الزمنية، لا تجد الشخصيات تفريغاً لآلامها إلا عن طريق الهذيان الذي يقودها إلى الشعور بعبثية الحياة ولا جدواها، ويدفعها لمعاقبة النفس بأشد العقاب. فجاء فعل الموت في الرواية رمزياً، بداية لحياة جديدة، ومولد جديد للشخصيات، مشكلاً بؤرة دلالية مليئة بمعاني القلق والكبت والقهر والموت اليومي، نفسياً وفكرياً، كما في مشهد التهام الصقر لـ"رشيد" وعائلته:

" بدأ بالتهامه

وما إن رأوا ذلك، حتى لانت قاماتهم وراحوا يتقافزون فرحين، في الوقت الذي راحت فيه زوجته تُطلق سيلاً من التعليقات الشامتة!

لم يكن قد تبقّى ما يذكّرهم به سوى هيكله العظمي.

وبسرعة غير عادية التهم أولاده، وعندها أدركت زوجته أنها ستتعذّب كثيراً، إذ من أين لها أعضاء طرية كأعضائهم.

التهمها وهي تنظر إليه دهشةً، لم يسبق أن أكلها صقر من قبل!

طار.

وهكذا بدأت حياتهم الجديدة."[25]

يشكل فعل الالتهام قتلاً للروح قبل الجسد، تمّ من خلاله التعبير عن حالة الموت النفسي والكبت التي تحياها الشخصيات، في مشهدٍ رمزي مفعمٍ بالغرابة. فتقافز الأولاد فرحاً لأكل الصقر والدهم، وبداية حياتهم من جديد بعد الموت. كوّن أبعاداً دلالية للواقع المعيش، وصورة واضحة عن الزمن النفسي المسيطر في الرواية. وتأتي المساحات النصية الفارغة التي تكررت على مدار الرواية: "بدأ بالتهامه مساحة فارغة "، نوعاً من التلاعب الشكلي، أدّى دوراً دلالياً في تعميق الحدث، وتكثيف البعد الزمني النفسي فيه. هذا الفراغ الذي تعيشه الشخصيات في بلدٍ يعاني من التصدع، هو انعكاس لحالة الاغتراب والضياع التي تغلف حياتها.

---

**[24] الرواية السابقة، ص127.**

**[25] نصر الله، إبراهيم: رواية شرفة الهذيان، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط5، 2015 م ، ص50.**

كما أنّ توظيف الصيغة الشعرية والغنائية أفاد في تقديم المحتوى الذهني للشخصية، وهي ليست اقتباسات بل من تأليف الكاتب؛ ليعمّق أكثر الحالة النفسية والذهنية للشخصية، فبدت وكأنها حقيقة كلام الشخصيات وهذيانها، وأفكارها المضطربة:

" (أغنية)
عتمةٌ مثل ظلّ قديم على وشك الانهيار
فلا فرق بين وضوح الصواب
وقعر الخطأ
أنتَ تعرفنا: أيّ هذا الظلام
فمَن قبل مَن
بين جدران هذا الظلام انطفأ ؟!! "[26].

شكّل إدراج **القصائد والحوار الغنائي والأغاني** تكثيفاً للحظة الحاضر المشؤومة، وتعميقاً لحالة البؤس، ما جعل الرواية مؤطّرة بزمن نفسي، يزحف بطيئاً؛ ليقضي على أحلام الشخصيات، ويثقل زمن انتظارها بالخلاص.

كما يتجلّى التجسيد الروائي **لتيار الوعي**، بغية تقديم المحتوى النفسي والذهني للشخصية. إذ تمتلك هذه التقنية – حسب روبرت همفري– ( قدرة كامنة على تصوير الشخصية على نحو أكثر دقة، وأكثر واقعية)[27]؛ لاعتمادها على التداعيات والحوارات الداخلية، والهذيان المعبّر عن غربة الشخصية وضياعها، وموتها المعنوي. فتيار الوعي هو (أحد أنماط الخطاب المباشر الحرّ، أو المونولوج الداخلي، الذي يحاول تقديم اقتباس مباشر للذهن، وأحد صيغ تقديم الوعي البشري بالتركيز على التدفق العشوائي للفكر)[28].

وتأتي هذه التقنية في رواية "أعراس آمنة" استجابة لحالة الغياب التي فرضها الموت في زمن الحصار، والاغتيالات التي يمارسها الاحتلال الصهيوني، فتكشف الزمن الخاص الذي تعيشه "آمنة ورندة"، زمن الذكريات والأحبة الذين غيّبهم الموت أو التهجير، فـ (الذاكرة الخصبة إنما تحيا في الزمن السيكولوجي)[29]. كما في مناجاة "آمنة" لزوجها الشهيد "جمال" تحدثه عن "رندة":

" أرأيتَ. يخرج الكلام من جوّاها. ذات يوم قالت لي: حين يغلقون الطرق، ويغلقون السماء أتجوّل في داخلي، أكون مضطرّة للتجول في داخلي يا خالتي. وهناك أفاجأ بأشياء لم أكن أعتقد أنها موجودة. أتعرفين ما هي الكلمات. نعم، أكتشف أن هناك كلمات، كلمات كثيرة، تمسكني من يدي وتسيرُ بي، كلمات مضيئة، حين تتجمع، حين تتلاصق، تشرق شمس كبيرة، وأرى أكثر، أحسّ أكثر، أراكِ حتى، أرى لميس، صالح، جمال، أخوي، أرى جدتي، أراكم كلكم. وأفهمكم أكثر "[30].

---

**[26] نصر الله، إبراهيم: رواية شرفة الهذيان، ص101.**

**[27] همفري، روبرت: تيار الوعي في الرواية الحديثة، ترجمة وتقديم د. محمود الربيعي، مكتبة الشباب، القاهرة، 1984، ص24.**

**[28] برنس، جيرالد: قاموس السرديات، ترجمة السيد إمام، ميريت، القاهرة، ط1/ 2003، ص189.**

**[29] زينتشينكو، تاتيانا: الذاكرة في علم النفس التجريبي والمعرفي ، ترجمة د. بدر الدين عامود، وزارة الثقافة– الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق 2016م، ص 20.**

**[30] نصر الله، إبراهيم: رواية أعراس آمنة، ص087**

عبر تدفق تيار الوعي، استطاع الكاتب أن يعكس تأثير القوى الخارجية في الشخصية، وأن يعبّر عن أزمتها وغربتها، وإحساسها الحادّ بالوحدة، فبدا الزمن النفسي ذا وتيرة حادة ومتصاعدة لديها:

" يعذّبني أنني أحسّ دائماً أنّ الحياة ستكون قصيرة معكَ، حتى لو عشنا معاً مائة سنة. يعذبني أنني أحسستها قصيرة، وها هم يأتون من كل الجهات بدباباتهم وطائراتهم، وجنرالاتهم كي يجعلوها أقصر. كما لو أن كل سنة يقتلعونها من روحنا ستضاف إلى أعمارهم ويعمّرون للأبد"[31].

إنّ امتزاج الحاضر المروي مع الماضي المستعاد، أضفى عمقاً زمنياً وسيكولوجياً على الشخصيات، عبّر عن قلقها وعدم استقرارها، مع إحساسها المتواصل بقصر الحياة إلى جانب أحبائها، والذي عكس إحساسها الحادّ والمضاعف بأن فقدهم وخسارتهم ستكون قريبة. وهذا ما عبّر عنه "بيرسي لوبوك": (إذا رغبنا في مشاهدة خضمّ الحياة، فإننا سنجدها أكثر استعداداً وسرعة عن طريق البحث مدة ساعة في الذاكرة والوعي، أكثر من مجرد مراقبة الحوادث الآتية التي تجري في ساعة معينة، مهما ازدحمت هذه الحوادث)[32]، وكلما ضاقت الفترة الزمنية التي يتناولها الكاتب، تعمّق أكثر في تقديم الحياة النفسية للشخصية.

وتأتي كتابة **اليوميات** تنويعاً سردياً يوحي بانقطاع الزمن الروائي، والدخول في زمن الشخصية الخاص. فـ ( اليوميات تستجيب لحاجة كاتبها إلى فحص الضمير، أو الاحتفاظ بذكريات يهدّها الزمن والنسيان، أو تنفيس ثورته ضدّ ضغوط العائلة، أو توضيح مسألة غامضة، أو كشف قضية مطوية)[33]. وعند الكاتب نصر الله جاءت اليوميات فعلاً تعويضياً عن حالة الصمت التي تعيشها الشخصيات، يكشف فيها العالم الباطني للشخصية، الذي يفضح بدوره العالم الظاهري المحيط بها. فـ ( الجانب السيكولوجي – الخلقي لحياة الإنسان، كالجانب الفكري والروحي أيضاً، يتطور في أشكال تاريخية معينة تعكس تناقضات اجتماعية وصراع طبقات)[34]؛ لذلك تتكفئ الشخصية على نفسها وتلجأ للكتابة، كتابة مذكرات أو يوميات ماضيها المشؤوم؛ للتخفيف من حالة الكبت التي تعانيها، ونوعاً من التعويض وإعادة التوازن إلى نفسها، فيغدو "الصمت ضرورياً للكتابة"[35]، وتغدو كتابة اليوميات إسقاطات لا شعورية لغربته في بلده، كما فعلت شخصيتا "سلوى و بهجت".

أما في رواية " شرفة الهاوية" ففي فعل الكتابة يتجلى تيار الشعور واضحاً غزيراً، في مواجهة النسيان الذي يحدث فجوة في الزمن وهوة سحيقة في الذاكرة، (فيعدل مفهوم الزمن تعديلاً عميقاً، يعطل الإحساس بالمسافات الزمنية الضيقة هناك، والممتدة هنا)[36]. و(تصبح عملية حكي الذات، وتأمل أفكارها وتصوراتها، ووصف أمكنتها وأزمنتها هي الأفق في وعي الكتابة، إنه حكي الذات للذات)[37]:

"20 آب 2008

تاخّرتُ كثيراً إلى أن اكتشفتُ وجود تلك الثغرة التي تنغّص عليّ حياتي! الثغرة؟! لأقل الهوّةّ هوّة حقيقية لا شيء يملؤها.

---

[31] **نصر الله، إبراهيم: رواية أعراس آمنة، ص105.**

[32] **لوبوك، بيرسي: صنعة الرواية، ترجمة د. عبد الستار جواد، دار مجدلاوي، عمان ط2 / 2000 م – 1420هـ/ ص 114.**

[33] **زيتوني، د. لطيف: معجم مصطلحات نقد الرواية – عربي– انكليزي– فرنسي، دار النهار للنشر، لبنان، ط1/ 2002، ص179.**

[34] **بيتروف. س: الواقعية النقدية في الأدب، ترجمة شوكت يوسف، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق/2012، ص214.**

[35] **نصر الله، إبراهيم: رواية شرفة رجل الثلج، ص200.**

[36] **جينيت، جيرار: خطاب الحكاية، ص 174.**

[37] **برهم، لطفية: أنماط الوعي، دار الحوار، اللاذقية، ط1/ 2016، ص171.**

قبل ليلتين حلمتُ بها، بالهوّة، ولا شيء غيرها، وحيّرنني أنني كنت أملك قوة جبارة، جبارة تفوق قوة أيّ مخلوق على هذه الأرض، أو حتى أيّ مخلوق اخترعته المخيلة البشرية، فتساءلتُ: ما الذي يحدث يا سلمان؟!"[38].

إحساس "سلمان بيك" المزمن بالفراغ والضآلة، شكّل مادة الكتابة لديه، وحافزاً دائماً للاسترجاع اليومي حيال أي موقف عجز يواجهه، ويذكّره بماضيه، فـ (كتابات كاتب ما لا تشكل سوى جزء من سلوكه الذي يتعلق ببنية فيزيولوجية وسيكولوجية معقدة جداً)[39]، والحلم الذي تراءى لـ"سلمان" ما هو إلا كشف وفضح لعقده النفسية التي تكونت في الماضي، وشكلت بالنسبة له زمناً سحيقاً، تعجز ذاكرته عن العودة إليه:

" 2003/5/7

يبدو أن شيئاً ما يحدث في رأسي، فالمساحة التي يحتلها الفراغ تبدو أكبر! لم تكن بهذا الحجم قبل شهرين أو ثلاثة، كانت ضيقة، ثمّ راحت تتسع يوماً بعد يوم"[40].

في كتابة "سلمان بيك" ليومياته، تكثيف للزمن النفسي في لحظة الحاضر، وتفريغه عبر فعل الكتابة من خلال استحضار الماضي، فالصلة وثيقة بين الكتابة والشعور، والزمن هنا مضاعف، يجمع زمن الكتابة، لحظة الانفعال والأحلام والهواجس المتراكمة في الحاضر، وزمن الذاكرة المؤطر بمرحلة الطفولة والشباب، فتكون الكتابة هنا تعبيراً عن تقلبات الشخصية، وكشفاً لعقدها وإحساسها بالفراغ السحيق. ويصبح الحلم أيضاً تعبيراً عن باطن الشخصية الممتلئ بالقلق والخوف والغموض.

**فالحلم** عند نصر الله عبارة عن رؤى محمومة مختلطة بالهذيان، متحرّرة من نظام الزمن، هي تكثيف للحظات انفعالية حادة لدى الشخصيات، وامتداد للزمن المعيش، فلا نشعر بالانقطاع الزمني في الحلم، بل بالامتداد الزمني الواسع، حيث تنطلق الأحاسيس والشعور والأفكار بشكل غير منظم، ضبابي أحياناً، مرمّز أحياناً أخرى، ليتحول إلى كابوس حقيقي يكاد يخنق الشخصية:

" كل ليلة أحاول الكلام، أحاول الصراخ، تنفرج شفتاي، أنتظر الكلام أن يخرج، ولا يخرج. أتحسّس فمي، تصطدم أصابعي بجدارٍ لزج كبقايا العلكة، لكنّه سميك وكثيف. أذهب للمرآة، أصرخ، ولا أحد يسمعني، أسناني ملتصقة، لا، اسناني ذائبة بعضها ببعض"[41].

حلم "سلوى" وهذيانها تعبير عن روعها وعذابها، وخوفها الفعلي من "حضرته"/ المسؤول الكبير/ وفضح لحالة الصمت الطويلة التي تعيشها، وحالة الهذيان التي تصيب "عبد الرحمن" أثناء حواره مع "سلوى" أيضاً، تؤدي إلى تداخل العالمين الواقعي والخيالي، وتكثيف إحساس الشخصية بالحدث أو اللحظة.

وإذا كان التلاعب في التشكيل السردي الخطوة الأولى في بناء عالم الشخصيات الداخلي، وتكوين زمنها النفسي الخاص، المعبّر عن وعيها الحاد بواقعها، يأتي تكثيف الإحساس باللحظة تقسيماً له أهميته في تجسيد الزمن النفسي، حيث تضيق اللحظات، ويتحول مسار الوعي بالحدث والشعور بالزمن إلى أعماق الشخصية، بوتيرة متسارعة تفوق إيقاع الزمن الطبيعي، وهذا ما نلمسه بشكل واضح في روايات الكاتب، مما ستبينه الدراسة الآتية:

## 2- تكثيف اللحظة الشعورية:

---

**[38] نصر الله، إبراهيم: رواية شرفة الهاوية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2013م، ص24.**

**[39] غولدمان، لوسيان: الإله الخفي، ترجمة د. زبيدة القاضي، الهيئة السورية العامة للكتاب –وزارة الثقافة– ، دمشق/ 2010، ص 34.**

**[40] نصر الله، إبراهيم: رواية شرفة الهاوية، ص25.**

**[41] نصر الله، إبراهيم: رواية زيتون الشوارع، ص132.**

(إنّ حركة الشعور هي قدرة على التحرّك بحرية في الزمن، وميله لأن يجد للزمن معنىً خاصاً به)[42]. إذ يتسع الإحساس النفسي في حركة داخلية عميقة في الذات، ويتكثف الزمن في لحظة مفصلية في حياة الشخصية، لحظة ذات معانٍ وأبعادٍ عميقة، تكون فيها مشاعر الشخصية في حدودها القصوى. كلحظة الصمت والانتظار والتلاشي والنظر في المرآة ...

فتكثيف لحظات **الصمت**، عكست الواقع الداخلي للشخصية المأزومة، إذ ( إنّ الصمت يبطن أكثر مما يظهره الظاهر، وأن الحقيقة في المخفي صمتاً لا في الظاهر علناً)[43]. فالصمت الذي كان يسود الحارة في رواية "زيتون الشوارع" قبل وصول المسؤول الكبير "حضرته"، كان ينذر باقتراب الخطر، فينمو في داخل "سلوى" إحساسها بالشر القادم /مغتصبها /. تسمع هدير سياراته من أبعد نقطة:

"وفي البعيد، في أقاصي الصمت، كنتُ أسمعُ هدير محرّكات سياراته يتصاعد مقترباً من الحارة، سيارات عملاقة. فأحسستُ بالخطر في داخلي يكبر"[44]. تفتح حواسها، واستشعارها الخطر من مسافة بعيدة، وسط الصمت المخيم، إنما يدل على ازدياد وتيرة إحساسها بالزمن القادم، باللحظات القاسية التي ستعيشها بين ذراعي "حضرته":

"لم أكن قادرة على التحرّك وهو يحشرني هناك بين ذراعيه"[45].

(وإذا كان الصمت ظاهرة مهمة في الحياة، انطلاقاً من المثل الشائع "إذا كان الكلام من فضة فإن السكوت من ذهب" فإنّ الأهمّ منه في رأي إدوارد هو تحدي الصمت)[46]: "وأشرعتُ النافذة وصرختُ: إنه يغتصبني"[47]. لكن دون جدوى، و (كأن الكلمات صحراء، كأنك لا تملك إلا أن تتقدم خلف سراب)[48]، في مجتمع يتماهى في لعبة الصمت هذه. الصمت الذي بات يحتل مساحة كبيرة من روح "سلوى"، ويكسوها بظلمة لا نهائية:

" – دعه.. ثمة صمتٌ لا بدّ لك من أن تسمعه، صمتٌ هنا فيّ كالكلمات، صمت يحتلّ مساحة كبيرة من هذا الجسد، صمتٌ لا بدّ أن تحسّه لتعرف تماماً معنى الكلمات المجروحة الخارجة من ظلماته.. أتسمعه؟!"[49]

كذلك الأمر في رواية "شرفة الهذيان" إذ نجد تكثيفاً للحظة الصمت وبخاصة ضمن الحوار، وهو تكثيف للموت الذي يغزو المكان، ( فاستمرار تردد الصوت الإنساني ضمان لاستمرار حياة الإنسان، وبالعكس فإن الصمت مرتبط بالموت ما لم تستطع – كما فعلت شهر زاد– أن تطيل الحياة ليس بسرد حكاياتها الأخاذة وحسب، بل أيضاً بإنتاج جيل جديد بالفعل.)[50] :

" صرخ: قولي شيئاً!!

- ماذا تقول؟!!

صمتٌ ...

---

**[42] همفري، روبرت: تيار الوعي في الرواية الحديثة، ص 64/63.**

**[43]شاهين، محمد : إدوارد سعيد / مقالات وحوار/ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط1، 2004، ص 19.**

**[44] إبراهيم، نصر الله: رواية زيتون الشوارع، ص139.**

**[45] الرواية السابقة، ص117.**

**[46]شاهين، محمد : إدوارد سعيد / مقالات وحوار/ ص21.**

**[47] نصر الله، إبراهيم: رواية زيتون الشوارع، ص 101.**

**[48] الرواية السابقة، ص 149.**

**[49] الرواية السابقة، ص 13.**

**[50]شاهين، محمد : إدوارد سعيد / مقالات وحوار/ ص 144.**

صرخت: قل شيئاً!!

- ماذا تقولين؟!! "[51].

ويأتي تكثيف الصمت تكثيفاً لحالة الموت النفسي الذي تعيشه الشخصيات، وحالة الترقّب التي تخرجها عن الإحساس الطبيعي بالزمن، حيث يغدو للشخصيات عالمها النفسي الخاص الخارج عن المواقيت الزمنية المعتادة، ويبدو ذلك واضحاً في وصف المشهد الذي افتتح به الراوي السرد:

" لكن الشيء الوحيد الذي لم يكن يتلاءم أبداً مع جلال المشهد كان فرط الصمت.

صمتٌ عميقٌ لا يليق بصباح يذهبُ فيه المرء لاستلام عمل جديد مرتدياً أفضل ملابسه، صمت يتدحرج حوله كراتٍ بيضاء تتجاوزه وتعود من جديد صاعدة باتجاهه، تتجاوزه...." [52].

يصوّر الوصف السابق جواً خانقاً على الرغم من صفائه، فكثافة الصمت التي تلف المكان، عكست واقعاً يشوبه الخوف والحذر. الصمت هذه اللحظة المضنية التي أرهقت "بهجت" في انتظار انتهاء دورة التحقيق، صمت مطبق كثيف خيّم على مكتب المحقق لمدة ساعة كاملة، تجاهل المحقق فيها وجود "بهجت" أمامه:

" وبسبب الصمت المطبِق على المكان، الصمت الكثيف في المكتب، كنتُ أسمعُ الماء يجري في بلعومه ويصبّ في معدته كشلالٍ صغير"[53].

كما شكلت لحظات **الانتظار** الممض المضني رصداً للحالات النفسية، والإحساس العميق بالزمن، ففي واقع بلا حرية ولا كرامة، يولد الإنسان لينتظر مصيراً محتماً لا مهرب منه: الخيبة واليأس، فيصبح " الانتظار قناعاً لموت الروح أو لحطامها... وكأنه الصيغة الفضلى للكشف عن خراب هذا الوجود"[54].

لكن في رواية "شرفة الهذيان" يغدو الانتظار نوعاً من الأمل بالخلاص، شخصيات تنتظر لتبقى على قيد الأمل في تغيير الواقع، وتحسين حياتها؛ وفي الانتظار لصحوة عربية تزيل ذلّ سنين من الاحتلال والتآمر، عبّر عنها الكاتب بإدراج صور ورسومات كاريكاتيرية مساعدة؛ لتكثيف لحظة الانتظار هذه، كصورة "حنظلة" للفنان المشهور "ناجي العلي" التي عبّرت عن اليأس من الواقع، وانتظار نهضة وانتفاضة تعيد للإنسان العربي كرامته ووطنه المسلوب:

"التفت إلى ابنته، كانت تنظر للداخل بصمت عاقدة يديها خلف ظهرها بما يذكّر كثيراً بحنظلة– طفل رسومات ناجي العلي"[55]. تلك الوقفة التي طال زمنها في انتظار لا تعرف نهايته. يقول "بيكيت": (في فعل الانتظار إنما نجرب مرور الزمن في شكله الأنقى)[56]، لكن انتظار "بهجت" في فروع الأمن، أمل بالخلاص والفرج والخروج سالماً. إذ يمتد الزمن ثقيلاً، وتضيق مساحة المكان، ويكاد المرء يلفظ أنفاسه الأخيرة خوفاً ورهبةً من اللحظات الآتية:

" كان الانتظار تعذيباً حقيقياً، لا تعرف منه هل يعذّبونك به لأنك خَطِرٌ أم يعذّبونك به لأنك لا شيء، أم يفعلون الأمر للسببين معاً! "[57].

---

[51] **نصر الله، إبراهيم: رواية شرفة الهذيان، ص199.**

[52] **الرواية السابقة، ص7.**

[53] **نصر الله، إبراهيم: رواية شرفة رجل الثلج، ص215.**

[54] **بيكيت، صمويل: مسرحية في انتظار جودو، ترجمة وتقديم بول شاوول، دار الجمل، علي مولا، ص19.**

[55] **نصر الله، إبراهيم: رواية شرفة الهذيان،ص75.**

[56] **بيكيت، صمويل: مسرحية في انتظار جودو، ص19.**

[57] **نصر الله، إبراهيم: رواية شرفة رجل الثلج، ص212/211.**

تشكل ساعات الانتظار البغيضة إحساساً مضنياً بالذل والخوف، حيث يغدو الإنسان ضئيلاً، لا قيمة لساعاته التي ذهبت هباءً في ترقب لمصير مجهول. وتتجلّى لحظات الانتظار طويلة غامضة، تثير الخوق والقلق من الآتي، كلحظة انتظار "بهجت" أمام غرفة الولادة، وخوفه من مستقبل مولوده القادم:

" لا أعرف إن كنتُ أمام غرفة العمليات، أم في قاعة ذلك المبنى، قلقاً أتخبّط، في انتظار رجل بشاربين كثين لأُساق فريسةً سهلةً لمحقّقين متمرّسين في انتزاع الامل من قلبي؟! لا أعرف إن كنتُ أتمنى سماع صرخة الطفل، أم أسمع نحيبها المجروح بخسارته؟! كنت قد تحولتُ غلى وحش مرة أخرى، وحين أدركتُ أنني لن أستطيع فعل شيءٍ، لأن الأمر خارج قدرتي، تمنيتُ أن يكون حملها كاذباً، أو أن يكون جنينها خفياً، بحيث ينزل من رحمها فلا يراه طبيب، ولا تسمع صيحاته ممرضة، ولا يعرف بوجوده محققون"[58].

إنّ التوتر والخوف والحيرة التي يعيشها "بهجت" في تلك اللحظات العصيبة، ما هي إلا نتيجة للسلطة القمعية والممارسات الأمنية بحقه، حتى تمنّى موت الجنين، أو أن يكون الحمل كاذباً، عاكساً الخوف الذي حوّله إلى وحش. شخصيات مهزومة، وواقع مرير تحاول الشخصيات القفز فوقه؛ لتتجاوز آلامها، ولـ (تمدّ جذورها في أعماق الزمن ظناً منها أن الحياة لا نهائية)[59]. لكن مع انتظار "بهجت" زمنه المتوهج بدت (الأيام بطيئة الحركة، وثقيلة الوقع، تحمل معها تهديداً بانقضاء الشباب وضياع العمر دون جدوى)[60].

وبعكس ذلك في رواية "قناديل ملك الجليل"، يزداد الخوف من القفز على الزمن، ومعرفة المستقبل، يتجلّى ذلك في لعبة القناديل التي لجأ إليها "ظاهر" وإخوته لمعرفة من سيموت أولاً، ومن سيعيش طويلاً، لحلّ الخلاف حول من سيتسلّم مهمة استلام ضرائب "طبرية"، وقد صوّر الكاتب وتيرة الإحساس بهذه اللحظات بشكل تدريجي:

" نصف الساعة الأول مرّ، كما لو أنّ الشعل قد أضيئت قبل لحظات. كان باستطاعة أي منهم أن يلتفت يميناً أو شمالاً، أو ينظر صوب أيّ من إخوته دون خوف، فقد كانت القناديل في عزّ اتقادها"[61].

إنّ الانتظار (يصنع المفاجأة والترقب)[62]، ويصهر الزمان تدريجياً في مسافة زمنية، تضيق كلما اتسع فيها الإحساس الداخلي، فيصوّر الكاتب مشاعر الشخصيات في الساعة الأولى، حيث الشعل متقدة، والموت بعيد، لكن ما إن يطول الوقت، وتبدأ الشعل بالتأرجح معلنة قرب انطفائها، تبدأ الملامح بالتغير فتنعزل الذات عن العالم الخارجي، وتنسحب إلى الداخل ليتشكل لكل منهم زمنه النفسي الخاص:

" أكثر خوفاً باتوا. يعرفون أن النتيجة حاسمة، وأنهم لن يستطيعوا تغييرها بعد أن تظهر. رفع ظاهر عينيه ونظر إلى إخوته، كم كانت ملامحهم قد تغيرت ..... خوف ما! باردٌ وقارصٌ، اعتصر أفئدتهم، فأحسوا بالموت فوق أكتافهم، كما لم يحسوا به من قبل.

حين تأرجحت الشعلة التي أمام ظاهر، ارتجفت أرواحهم بإحساس غريب، مختلط، وحشيّ ومكسور...."[63].

---

[58] **نصر الله، إبراهيم: رواية شرفة رجل الثلج، ص266.**

[59] **النعيمي، أحمد حمد: إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت/ ط1/ 2004، ص 85**

[60] **الشامي، د. حسان: المرأة في الرواية الفلسطينية، ص 250.**

[61] **نصر الله، إبراهيم: رواية قناديل ملك الجليل، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط5، 2014م، ص40.**

[62] **باشلار، غاستون: جدلية الزمن، ص63.**

[63] **نصر الله، إبراهيم: رواية قناديل ملك الجليل، ص41.**

يكثف تأرجح شعلة القناديل الدقائق والساعات التي قضاها "ظاهر" مع إخوته في انتظار النتيجة المرعبة، حيث بدت الفتائل في تراقصها وكأنها الروح في نزعها الأخير، فأثارت الخوف في قلوبهم، وطغى عليها إحساس غريب موحش، انعكس في ملامحهم التي تغيرت.

ففي الزمن النفسي تضيق اللحظات، وخاصة حين تشهد الشخصية لحظة الموت أو لحظة هلاكها، كما حصل مع "منار" لحظة اختطافها واغتصابها :"الزمن الذي احتاجته لارتداء ملابسها ثانية، كان يفوق كل الزمن الذي احتاجته لارتداء ملابسها منذ مولدها. لزجاً كان الهواء، طاف أمام أنفها وابتعد"[64].

كما تمّ تكثيف اللحظة الشعورية عبر **تقنية المرآة**، تعميقاً لحالة الخوف، فبات الإحساس مضاعفاً ممتداً في روح الشخصية، لا سبيل للخلاص منه، وأصبح (أقرب الطرق إلى الجنون أن يقف الإنسان أمام المرآة طويلاً ؛ لأنه يرى خياله في هذه الحالة أكثر مما يرى نفسه.... ومع الأيام لا يعود يرى سوى الصورة، وبعدها يختفي الأصل)[65]، فعبّرت لحظة تأمل الشخصية لذاتها في المرآة عن حدّة إحساسها بأزمتها:

"حين وقفتُ أمام المغسلة، ولمحتُ وجهي في المرآة، رأيتهُ يقف خلفي بعينين ناريّتين ويدفعني بقوّة نحو المرآة، فوجدتُ رأسي يرتطم بها ويختفي فيها.

حين خرجتُ منها، تلفّتُ حولي خائفاً، فوجدته مشغولاً بتوجيه الأسئلة بعنف لشخصٍ آخر يشبهني تماماً. حين رآني صرخ: انصرف من هنا. فانصرفتُ. وقبل أن أصل الممرّ المؤدي لغرف النوم سمعته يقول لي:" غداً في الرابعة صباحاً تكون هنا! مفهوم "؟! "[66]

فرؤية "بهجت" لشخص آخر غيره في المرآة، كشفت ضياعه، وامتداد إحساسه بالخوف والرعب من جلسات التحقيق المتواصلة التي قضّت مضجعه. فمن خلال النظر إلى المرآة تبدو الشخصية في صراع مع ذاتها، والذي هو في حقيقة الأمر صراع مع واقعها. وتجلى ذلك أيضاً في اللحظة التي نظر فيها "الدنكزلي" لنفسه في المرآة:

"حدّق الدنكزلي في المرآة، فرأى رجلاً آخر غيره، ودّ لو يمسك بالسيف ويطعنه ألف طعنة ليستريح منه إلى الأبد! " لكم تغيرت يا أحمد ! أأنت الذي هنا؟! أم انك ذلك القابع في المرآة هناك؟!"[67].

إحساس الشخصية الحادّ بتغيرها الخطير، جعلها تعيش لحظات مليئة بالقلق والحيرة، وهذه الازدواجية المنعكسة في المرآة، ما هي إلا انعكاس لحالة التردد والضياع التي يشعر بها "الدنكزلي"/ قائد جيش ظاهر/ في أعماقه، فبين أن يستمر إلى جانب "ظاهر" في حربه، أو ينقلب ضده، يعيش أزمة نفسية، تجلّت في الرغبة في قتل الوجه الآخر له.

سيطر الزمن النفسي بشكل واضح في روايات الكاتب إبراهيم نصر الله، سواء أكانت تتناول معاناة الفلسطيني في ظل الاحتلال، أو معاناة الإنسان في ظل الأنظمة القمعية، فعبّرت عن واقع سياسي واجتماعي متردّ، من خلال رصد أعماق الشخصيات، وكشف آلامها وأزماتها النفسية، التي هي نتاج مجتمع محاصر بكل أشكال العنف والفساد.

---

**[64] نصر الله، إبراهيم: رواية شرفة العار، ص114.**

**[65] نصر الله، إبراهيم: رواية أعراس آمنة، ص 121.**

**[66] نصر الله، إبراهيم: رواية شرفة رجل الثلج، ص270.**

**[67] نصر الله، إبراهيم: رواية قناديل ملك الجليل، ص478.**

**الاستنتاجات والتوصيات:**

مما تقدّم يمكننا القول:

– إنّ الشعور بالزمن نسبي، يتفاوت من شخصية لأخرى، تبعاً لتفاعلها مع الحدث، وتأثرها باللحظة. إذ يضيق الزمان أحياناً ويمتد أحياناً أخرى في وعي الشخصية، مغلفاً حياتها بإيقاعها الخاص. فـ الشعور بالزمان – حسب بول ريكور– ( كلمة تعلمنا أننا لا نننتج الزمان، بل هو الذي يحيط بنا يغلف وجودنا، ويسودنا بقمته الرهيبة).[68]

– من واجب الروائي أن ينقل إحساس شخصياته بالزمن إلى القارئ، عبر ضبط إيقاع السرد مع الإيقاع الداخلي للشخصية، وتجسيد تفاعلها مع الزمن والحدث.

– استطاع الكاتب إبراهيم نصر الله أن يرسم الإحساس بالزمن بشكل عميق ومؤثر، إذ تحيا شخصياته الروائية في زمن الخوف، الفساد، الاغتصاب... فعكس شخصيات مهزومة وتائهة ومهمشة، تعاني من ضغوطات الحياة، ومن ظلم السلطة في جوّ خانق من التبعية والفساد. وذلك من خلال التلاعب السردي، و تكثيف الشعور في لحظات مفصلية من حياة الشخصية، وتجسيد تفاعلها مع الزمن، فتنوّع إيقاع الزمن النفسي تبعاً للشخصية ولتجربتها الزمنية، ودرجة إحساسها بوقع اللحظة.

## المصادر / الروايات

**نصرالله، إبراهيم :**


1- *أعراس آمنة*، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط8، 2015م
2- *تحت شمس الضحى*، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط7، 2015م
3- *زيتون الشوارع*، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط5، 2013م
4- *شرفة رجل الثلج*، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط3، 2014م
5- *شرفة العار*، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط5، 2016م
6- *شرفة الهاوية*، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2013م
7- *شرفة الهذيان*، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط5، 2015 م
8- *قناديل ملك الجليل*، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط5، 2014م


[68] **ريكور، بول: الزمان والسرد– الزمان المروي / ج3، ص24.**

## المراجع:

1- باشلار، غاستون: *جدلية الزمن*، ترجمة خليل أبو أحمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع / ط3/ 1992.

2- برنس، جيرالد: *قاموس السرديات*، ترجمة السيد إمام، ميريت، القاهرة، ط1/ 2003.

3- برهم، لطفية: *أنماط الوعي*، دار الحوار، اللاذقية، ط1، 2016.

4- بيتروف. س: *الواقعية النقدية في الأدب*، ترجمة شوكت يوسف، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق/2012م.

5- بيكيت، صمويل: *مسرحية في انتظار جودو*، ترجمة وتقديم بول شاوول، دار الجمل/ علي مولا.

6- جينيت، جيرار: *خطاب الحكاية /بحث في المنهج/* ترجمة: محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر حلى. المشروع القومي للترجمة، ط2/ 1997.

7- رضوان، محمد: *محنة الذات بين السلطة والقبيلة- دراسة لأشكال القمع وتجلياته في الرواية العربية*- اتحاد الكتاب العرب/ دمشق، 2002.

8- ريكور، بول: *الزمان والسرد- التصوير في السرد القصصي/ ج2*، تر فلاح رحيم، راجعه عن الفرنسية د. جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة /ط1/ كانون الثاني/ 2006.

9- ريكور، بول: *الزمان والسرد- الزمان المروي / ج3*، ترجمة سعيد الغانمي، راجعه عن الفرنسية د. جورج زيناتي، دار الكتاب الجديدة المتحدة/ط1/ يناير 2006.

10- زيتوني، د. لطيف: معجم مصطلحات نقد الرواية – عربي- انكليزي- فرنسي، دار النهار للنشر، لبنان، ط1/ 2002.

11- زينتشينكو، تاتيانا: *الذاكرة في علم النفس التجريبي والمعرفي* ، ترجمة د. بدر الدين عامود، وزارة الثقافة- الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق 2016م.

12- الشامي، د. حسان: *المرأة في الرواية الفلسطينية /1965- 1985/* دراسة، اتحاد الكتاب العرب، 1998.

13- شاهين، سمير الحاج: *لحظة الأبدية*، دراسة الزمان في أدب القرن العشرين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1/ 1980.

14- شاهين، محمد : *إدوارد سعيد / مقالات وحوار/* المؤسسة العربية للدراسات والنشر /ط1/ 2004.

15- العيد، يمنى: *الراوي/ الموقع والشكل/ بحث في السرد الروائي*، مؤسسة الأبحاث العربية ش.م.م/ بيروت، ط1/ 1986.

16- غولدمان، لوسيان: *الإله الخفي*، ترجمة د. زبيدة القاضي، الهيئة السورية العامة للكتاب -وزارة الثقافة- ، دمشق/ 2010م.

17- الفريج، هيفاء محمد: *تقنيات الوصف في القصة القصيرة السعودية*، 1420/1400هـ، النادي الأدبي بالرياض/ المركز الثقافي العربي، بيروت- الدار البيضاء، ط2009/1.

18- لوبوك، بيرسي: *صنعة الرواية*، ترجمة د. عبد الستار جواد، دار مجدلاوي، عمان، ط2 / 2000 م – 1420هـ/.

19- النعيمي، أحمد حمد: *إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1/ 2004.

20- همفري، روبرت: *تيار الوعي، في الرواية الحديثة*، ترجمة وتقديم د. محمود الربيعي، مكتبة الشباب، القاهرة، 1984.